مجلة عصور الجديدة - مجلة محكمة صنف ج- المجلد 10 العدد 1- مارس 1441هـ/2020
ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

الفتح الإسلامي لبلاد الشام وجزر شرق البحر المتوسط من خلال كتاب تاريخ ميخائيل الكبير

The Islamic Conquest of the Levant and the Eastern Mediterranean Islands through the History's Book of Michael the Great

✍اسم ولقب المؤلف المرسل: أحمد بوعنينبة- bouaninba.ahmed صص47- 61
طالب دكتوراه علوم - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -
البريد الإلكتروني: bouaninba.ahmed@yahoo.com
✍اسم ولقب المؤلف الثاني: عبد العزيز فيلالي- abdelaziz.filali
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر أ- قسم التاريخ- كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية- جامعة قسنطينة2- عبد الحميد مهري./البريد الإلكتروني: abdelaziz.filali@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2019/12/28 تاريخ المراجعة: 2020/01/20 تاريخ القبول: 2020/03/02

ملخص: يعتبر ميخائيل السرياني الكبير من أوائل مؤرخي المسيحيين السريان الذين اعتنوا بجمع مختلف الروايات السريانية للأحداث التي شهدتها مدن العالم القديم والوسيط في كتابه المسمى "التاريخ" الذي تضمن خلاصة ما كتبه سلفه من المؤرخين السريان ممن عاصروا عمليات الفتح الإسلامي، وكتبوا عنه كشهود عيان، ورغم أن الكتاب في مجمله هو محاولة للتأريخ للكنيسة الشرقية، إلا أنه تضمن تدوينا واسعا لأحداث الفتح الإسلامي لمنطقة الشام وجزر الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في الفترة من سنة 11 إلى سنة 40هـ(632-660م)، وهو يعطي بذلك الإنطباع العام لدى رجال الكنيسة الأرثوذكسية وموقفهم من الفتح الإسلامي، والمؤلف في موضع رواية لأحداث فتح المنطقة يقدم لنا رواية سريانية للوقائع من منظور مسيحي، وهذه الرواية تتقاطع في مجملها مع الرواية العربية الإسلامية لأحداث الفتح الإسلامي للمنطقة، ويبدو أن هذه الرواية السريانية قد رجحت بعض الروايات العربية، وأنهت الجدل حول اختلاف المصادر الإسلامية حول تاريخ فتح بعض المدن مثل دمشق، أو بعض المعارك الحاسمة مثل اليرموك، ورغم ما يبديه المؤلف من تحامل على العرب المسلمين في بعض المواطن من كتابه، إلا أنه يكرر دائما أن ما فعله هؤلاء- يقصد

المسلمين- لا يقارن في الحقيقة أمام ما فعله الروم البيزنطيين من مجازر واضطهاد بحق مسيحي الشرق، وهو ما نجده مفصلا من خلال هده الدراسة التي قد تعطي نظرة حيادية- إلى حد ما- لوقائع فتح المنطقة في العهد الراشدي.

الكلمات المفتاحية: ميخائيل السرياني، الفتوحات الإسلامية، الروايات السريانية، بلاد الشام، جزر البحر الأبيض المتوسط.

ABSTRACT :*Michael the Great Syriac is one of the earliest historians of the Syriac Christians who compiled various Syriac accounts of the events in the cities of the ancient and medieval world in his book entitled "History", which included a summary of his predecessors from the Syriac historians who witnessed operations of the Islamic conquest and wrote about them as eyewitnesses. Although the book in its entirety is an attempt to chronicle the Eastern Church, it included a wide codification of the Islamic conquest of the Levant and the islands of the Eastern Mediterranean basin in the period 11-40 AH/632-660AD. Furthermore, the book gives the general impression of the Orthodox Church and its position on Islamic conquest. In the description of the events of the region conquest, the author presents a Syriac account of the facts from a Christian perspective. This novel intersects with the whole Arab-Islamic story about the Islamic conquest of the region, and ends the debates on Islamic resources disagreement about the conquest history of towns like Damascus and decisive battles like Yermouk. Despite the author's prejudice against Arab Muslims in some chapters of his book, he always repeats that what Muslims did is not really comparable to the massacres and persecution of the Byzantine persecution against the Christians of the East. Through this article, we find a detailed study of a likely neutral view of the realities of the conquest during the Rashidi Era.*

Keywords: Michael Al-Syriani; Islamic Conquests; Syriac Novels; Levant; the Eastern Mediterranean Islands.

مقدمة: صنفت عمليات الفتح الإسلامي كأعظم الأحداث التي شهدها العصر الوسيط، لذلك فقد أسهبت مختلف المصادر التاريخية العامة بذكر وقائعها وأحداثها، ففي الحين الذي عنيت فيه الدراسات العربية برواية وسرد مختلف تلك الوقائع من المصادر العربية الإسلامية، وأغفلت عن قصد أو عن غير قصد ما روته المصادر الأخرى غير العربية، لتلك الأحداث التي غيرت بحق وجه ومسار التاريخ الإنساني، والمقصود بذلك روايات المصادر القبطية واللاتينية والسريانية وغيرها، على اعتبار أن هذه المصادر أرّخت لوقائع شابها الخلط والغموض حينا، وتحاملها على

المسلمين وفتوحاتهم حينا آخر، وهي دراسات كرستها بطبيعة الحال نظرة أحادية واتجاه واحد، وهو الأمر الذي يحتم على الباحثين المسلمين قراءة تلك المصادر السريانية، وذكر وجهة نظرها إزاء عمليات الفتح الإسلامي وروايتها لوقائع التاريخ الإسلامي عموما، وذلك من باب ما تقتضيه الموضوعية التاريخية أولا، ثم محاولة مقارنة تلك الأحداث ومقابلتها مع مثيلاتها في المصادر الإسلامية المعتبرة ثانيا، لتمكن الباحث من أخد نظرة شاملة ومتكاملة عن وقائع الفتح الإسلامي من خلال المصادر المتباينة ثالثا.

ولا يخفي على الباحثين المتخصصين أن المصادر السريانية من أبرز المصادر غير الإسلامية، التي عُنيت بذكر أحداث الفتح الإسلامي، لاعتبارات فرضها الواقع الجغرافي والديني لأن أصحابها كانوا من المسيحيين السريان الذين استوطنوا بلاد الشام(1) منذ أقدم العصور، وعايشوا مختلف التحولات السياسية والثقافية والإجتماعية والدينية التي شهدتها المنطقة، وعُنوا بالتدوين المبكر لتلك الأحداث.

ويعتبر "كتاب تاريخ الأزمنة عن الأحداث المدنية والكنسية" لصاحبه ميخائيل السوري أحد أبرز المصادر السريانية التي أرخت لوقائع الفتح الإسلامي لبلاد الشام وجزر الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في مطلع القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، ليس فقط لكونه شهد بعض وقائع الفتح، وإنما لكونه نقل عن بعض المصادر التي شهد أصحابها تلك الأحداث وعايشوها ودونوها، كما أنه يعبر عن رؤية المسحيين السريان وانطباعهم وروايتهم لوقائع الفتح الإسلامي في المنطقة، فالأسئلة المطروحة إذا تطال نظرة ميخائيل السرياني لوقائع الفتح الإسلامي للمنطقة، ومدى تعارضها أو توافقها مع الروايات العربية الإسلامية، وهذا ما سنسلط عليه الضوء في هذا المقال.

1- التعريف بالمؤلف: يعد ميخائيل السرياني المعروف باسم ميخائيل العظيم أو الكبير أحد أهم بطاركة الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العصور الوسطى؛ حيث قادها في الفترة ما بين 562-596هـ/1166-1199م(2).

ولد ميخائيل السوري في بلدة ملطية بالأناضول حوالي عام 520هـ/1126م من عائلة مسيحية أرثوذكسية عريقة، حيث كان والده إيليا أحد قساوسة ملطية من عائلة قنداسي، كما كان عمه أثناسيوس زكي مطرانا لقرية عين زربة، وقد لقب المؤلف بالكبير تمييزا له عن ابن أخيه ميخائيل الصغير، وهو "يشوع شفتانا" أي يشوع ذو الشفتين الكبيرتين، الذي بدوره تقلد كرسي البطريركية في ملطية ما بين سنتي 596-612هـ/1199-1215م بعد وفاة عمه[3].

بينما يرى البعض أن ميخائيل الكبير لقب بهذا اللقب نظرا للأعمال الخطيرة التي قام بها خلال مدة خدمته، إذ يعد المؤلف أحد أهم بطاركة الكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العصور الوسطى.

نشأ المؤلف نشأة دينية حتى أصبح راهبا في دير "برصوما" بالقرب من ملطية، ثم قرر المجمع االمقدس اختيار ميخائيل بطريركا للكرسي الرسولي سنة 562هـ/1166م[4].

إنشغل ميخائيل- إضافة إلى مهامه الدينية- بالتأليف الكنسي والجدل والتاريخ، وله عدة مؤلفات في هذا المجال أهمها: كتابه في التاريخ المسمى: "تاريخ الأزمنة عن الأحداث المدنية والكنسية"[5]، وكتاب "في الإستعداد لتناول القربان"، و"شرح قانون الإيمان"، ورسالة عن رسامة القساوسة وغيرها كثير[6].

وللمؤلف عدة أسفار ومواقف أهمها: سفره إلى القدس وأنطاكية عام 564هـ/ 1168م، كما كانت له مواقف قوية من قوانين السريان، بالإضافة إلى موقفه من المجمع الكنسي الثالث الذي انعقد في لاتران[7].

توفي ميخائيل السرياني سنة 596هـ/1199م بعد أن جلس على كرسي البطرياركية ثلاثة وثلاثين (33) عام وعشرين (20) يوما تقريبا، عن عمر قارب ثلاثة وسبعين (73) سنة، ودفن في كنيسة "دير برصوما" الجديدة في مقبرة بناها لنفسه[8]، وصفه ابن العبري (ت 685 هـ/1286م): "بأنه كان رجلا عظيما، عالما بالكتب المقدسة، ذا جسد ضخم ووجه مليح وصوت واضح عذب".

2 - **التعريف بالكتاب:** يعتبر كتاب ميخائيل السرياني المعنون بـ"تاريخ لأزمنة عن الأحداث المدنية والكنسية" المعروف اختصارا بـ"تاريخ ميخائيل الكبير" من أبرز

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

المصادر التاريخية السريانية التي أرخت لأحداث العالم عموما، وتاريخ السريان على وجه الخصوص[9]، إذ تناول فيه المؤلف الأحداث المدنية والكنيسة منذ بدء الخليقة حتى عام 592هـ/1195م، وذلك في واحد وعشرين (21) مجلد استهلها بمقدمة بها موجز باللغة الأرمينية ذكر فيها المصادر التي إستخدمها في تأليفه[10].

وما يهمنا من هذه الدراسة هو المجلد الحادي عشر (11) الذي خصصه ميخائيل الكبير لفترة صدر الإسلام والعهد الأموي، إذ يعد هذا الكتاب مصدرا لا غنى عنه لمؤرخي هذا العصر، إذ جمع فيه المؤلف خلاصة ما كتبه المؤرخون السريان وغيرهم ممن جاءوا قبله، وعاصروا أحداث الفتح الإسلامي وعايشوا عهده، وكتبوا عنه كشهود عيان، ومما يلاحظ في تاريخ ميخائيل الكبير اهتمامه البالغ بتدوين وقائع وأحداث الفتوحات الإسلامية دون النواحي الحضارية[11].

وتعد مصادر ميخائيل الكبير التي اعتمدها في تدوين تاريخه، أغلبها مصادر ومؤلفات سريانية ضاع معظمها لأسباب مختلفة، فكان للمؤلف الفضل الكبير في حفظ تواريخها.

وأهم هذه المصادر: تاريخ خرونيقون يعقوب الرهاوني(ت90هـ/708م) وتاريخ يوحنا الأثاريشي وتاريخ ثاوفيلوس الرهاوي (ت175هـ/791م) وتاريخ جرجس أسقف العرب (ت241هـ/725م)[12]، بالإضافة إلى تاريخ باسيليوس الرهاوي (ت462هـ/1169م) المعروف بأبي الفرج بن شومنه، وتاريخ ديونيسوس بن الصليبي (ت567هـ/1171م)[13]، فضلا عن مصادر أخرى مهمة منها: تاريخ زكريا الفصيح، يوحنا الأسيوي- الأفسسي (507- 585م)[14] المسمى "تاريخ الكنيسة"، وهو في الأصل ثلاثة كتب ترجم الثالث منها والأخرى مفقودة[15] يعقوب الرهاوي (12-90هـ/633-708م) والبطريك ديونيسيوس الأول التلمحري (ت231هـ/ 845م)[16].

3- وقائع وأحداث الفتح الإسلامي بأرض الشام: عند ذكره لوقائع الفتح الإسلامي يتفق ميخائيل السرياني مع جل المصادر الإسلامية المتقدمة على أن الخليفة الأول أبو بكر الصديق (11-13هـ/632-634م) أرسل أربعة جيوش إلى الشام ومصر وبلاد فارس، وأنها حققت نجاحات معتبرة[17]، حيث تمكن الجيش الذي أرسل إلى فلسطين من

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

الوصول إلى مدينة قيصرية، وإلحاق الهزيمة بالتحالف الرومي- السامري بقيادة البطريق سرجي الذي قتل أثناء فراره[18].

كما يشير المؤلف هنا إلى أنه ورغم خطر المسلمين المحدق لا تزال أزمة المسيحية على أشدها، بالإضافة إلى تأكيده على الاضطهاد المتكرر الذي مورس على المسيحيين السريان من قبل الرومان المعتنقين لمذهب الخلقدونية أو عقيدة الطبيعيتين الإلهية والبشرية للسيد المسيح[19]، وهو ما يعطي انطباعا بأن المسيحيين السريان- أو على الأقل- المتعلمين منهم، أوّلوا تلك النكبات التي حلت بهم تأويلا دينيا مرده غضب الرب لما اقترفوه من مختلف الأعمال الشريرة ضد أنفسهم أو ضد بعضهم البعض[20].

وفي عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (13-22هـ/634-643م)، تمكن جيش المسلمين من احتلال- حسب تعبير المؤلف- مدينة بصرى الشام، وخرّب العديد من القرى، كما أشار المؤلف إلى قضية مهمة جدا، وهي إعادة المسلمين لجميع الأساقفة الأرثوذكس إلى كراسيهم- التي حرموا منها في عهد الرومان- في كافة المناطق الخاضعة للنفوذ الإسلامي، وهي شهادة تحسب للمسلمين خاصة، وأنها جاءت من قبل مسيحي يمثل الجهة الرسمية للكنيسة الشرقية[21].

كما يذكر المؤلف غزو المسلمين لجميع مناطق سوريا، ووصولهم إلى سواحل نهر الفرات في السنة الرابعة من حكم الخليفة عمر[22] أي 16هـ/637م، وهو ما نجده مفصلا في المصادر الإسلامية المتقدمة[23] على غرار الأزدي (ت ق2هـ/8م) وخليفة بن خياط (ت240هـ/ 854م) والبلاذري (ت279هـ/892م) والطبري (ت310هـ/922م).

3. 1- **معركة اليرموك وفتح دمشق:** في الوقت الذي يجد فيه الباحث نفسه أمام روايات إسلامية متناقضة حول تاريخ معركة اليرموك في كونها وقعت قبل فتح دمشق مما يعني أنها وقعت سنة 13هـ/634م[24]، أو سنة 14هـ/635م[25]، يذكر ميخائيل السرياني هذه المعركة في روايته لأحداث فتح مدن الشام، وهي الرواية التي تكاد تكون مرجحة لما اختلفت فيه المصادر العربية، إذ يذكر أنها وقعت قبل فتح دمشق- التي فتحت صلحا- وأن ذلك كان في السنة الخامسة من خلافة عمر[26]، ومعنى هذا أن

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

معركة اليرموك وفتح مدينة دمشق تم في حدود السنة 16 أو 17هـ/638م كأقصى تقدير.

3. 2 العدالة الإلهية- سقوط حلب وأنطاكية: رغم إجماع جل الروايات الإسلامية على أن قائد جيوش المسلمين خالد بن الوليد بالشام كان قد عزل من طرف الخليفة الثاني كما سبق ذكره[27] إلا أن صاحب كتاب التاريخ الكبير يجعله- أي خالد بن الوليد- على رأس جيش كبير توجه به إلى حلب وأنطاكية، وبأمر من الخليفة نفسه، ويسترسل المؤلف بذكر نجاحاته الكبيرة في إخضاع تلك المناطق وفتكه بعدد كبير من الناس، ناهيك عن وقوع عدد هائل من السبايا رجالا ونساء، فتيانا وفتيات، وهي حملات- حسب المؤلف- أقرب إلى الإبادة منها إلى معارك حربية[28].

وهذه الوقائع اقتضت من المؤلف إضفاء نوع من التبرير الديني باعتبار أن العدالة الإلهية سمحت بذلك، لأن المسيحيين أخذوا يمارسون السكر والشراهة والرقص وغيرها من المغريات والموبقات الفاجرة في أعياد الشهداء[29]، ومن الغريب أن المؤلف يعلل انتصارات المسلمين، ونجاحهم على مختلف الجهات القتالية بتأييد ونصر الله لهم[30].

3.3 إنسحاب هرقل: لما رأى هرقل إنتصارات المسلمين، وتراجع قواته أمامهم على مختلف الجهات، وتوالي سقوط المدن الشامية الواحدة تلوى الأخرى، أيقن استحالة الصمود؛ فقرر مغادرة مدينة أنطاكية إلى عاصمة إمبراطوريته- مدينة القسطنطينية- وأطلق العنان لجيشه فنهب القرى والمدن، واغتصب واستولى على كل ما وجده من مال ومتاع، ودمر جنوده تلك المناطق وكأنها مناطق الأعداء، وارتكبوا فيها من المفاسد أكثر مما فعله المسلمون[31]، ويبدو أن هذه الأفعال التي لجأ إليها جيش الرومان كان الغرض منها ألا يطمع المسلمون في خيرات تلك المناطق.

ومهما يكن من أمر فقد استولت قوات المسلمين على تلك النواحي المدمرة، أما هرقل فقد دعا ما تبقى من حامياته أن يصمد في مكانه، وهو نداء أرسله إلى كل القلاع والمدن الرومانية المتبقية بالشام[32].

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

في المقابل تقابلنا روايات عربية تتقاطع في مجملها ومضمونها مع هذه الرواية، مما يعطي الروايات الإسلامية جانبا كبيرا من المصداقية خاصة، وأنها تتوافق مع رواية سريانية لمؤلف مسيحي، لا يخفي بغضه الشديد وامتعاضه من المسلمين، وإن كانت الروايات الإسلامية أكثر تفصيلا في أغلب المواضع، كما هو الحال عند الطبري (ت310هـ/ 922م)، إذ يروي أن هرقل كان دائما ما يودع سورية على أمل العودة إليها، لكن ومع سقوط مدينة حمص ثم قنسرين، ومقتل قائده ميناس، انسحب إلى شمشاط[33]، ومضى إلى ناحية القسطنطينية ثم قال: "... فأما اليوم فعليك السلام يا سورية تسليم المفارق، ولا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفا..."[34].

كما نجد بعض الإشارات إلى ما فعله الرومان عند انسحابهم من تلك المناطق كما هو الحال عند الأزدي (ت ق2هـ/ق8م) الذي أفرد لتلك الأحداث عنوانا "خبر ما كان من أهلكهم الله به، واستأصلهم وفرّق جمعهم"، وذكر تحته إشارات عامة حول إفساد الروم، وذكر ما ارتكبوه من سلب ونهب للأملاك، واعتداء على الأعراض بحق مسيحي المنطقة، رغم أن صاحب فتوح الشام لم يؤرخ للأحداث بانسحاب هرقل من الشام[35].

4. عهد الخليفة عمر (13-22هـ/634-643 م) وعدله وفتحه لبيت المقدس: يذكر ميخائيل السرياني وقائع فتح المسلمين لبيت المقدس بأنه وفي سنة 15هـ/636م وصل الخليفة عمر إلى فلسطين؛ فاستقبله أسقف القدس "صفرونيوس" وتفاوض معه؛ فكتب له عهدا ألا يسكن يهودي القدس، ولما دخلها الخليفة عمر أمر ببناء مسجد في موقع هيكل النبي سليمان، كما قام الأسقف بإهداء ثياب جديدة إلى خليفة المسلمين الذي رفضها[36]، وكان لهذه التصرفات أثر بالغ على المسيحيين هناك، إذ أصبح الخليفة مصدر الثناء لديهم؛ فاطمئنوا إليه، ويسترسل المؤلف في وصفه بالعدل وعدم الجشع، إذ أنه لم يأخذ لنفسه شيئا من غنائم الفرس والروم[37].

لقد كانت عدالة عمر، وزهده وتعففه عن أموال الرعية قضية لا غبار عليها في المصادر السريانية، كما هي في المصادر الإسلامية باستثناء الشيعية منها:[38]

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

أما فيما يخص صلح إيليا أو بيت المقدس فقد استفاضت مختلف المصادر الإسلامية في ذكر بنوده وأدق تفاصيله، وأعطت لذلك تاريخا؛ وهو السنة 15هـ/636م(39)؛ فقد روت بعض المصادر أن بشرى الفتح كانت بفعل تنبؤات ذكرها كعب الأحبار، وأن الخليفة عمر بن الخطاب جعل مصلى المسلمين أو مسجدهم اتجاه الكعبة، وروى أن بطريق إيليا خرج إلى عمر وقال: هذا والله الذي نجد صفته، ويكون فتح بلادنا على يده، ثم إنه قال لأهل بيت المقدس: انزلوا إليه، واعقدوا معه الأمان والذمة؛ ففعل ذلك أهل إيليا، أما نص الصلح فقد ذكره الطبري بتمامه: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان: أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم؛ فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمسة عشر"، وهي معاهدة أتسمت بالمرونة خاصة في دفع المبالغ المترتبة على الخراج أو عائدات الإنتاج الزراعي(40).

- **توالي النجاحات:** انطلق المسلمون من فلسطين إلى بقية المدن السورية واستولوا عليها، وقد التقى قائد جيش الروم بالمسلمين في مدينة قنسرين، وتم عقد صلح يدفع

الروم بموجبه للمسلمين مبلغ مائة ألف (100000) درهم سنويا، شريطة أن لا يعبر قائد الروم نهر الفرات نحو المناطق الشرقية، كما يمتنع المسلمون عن دخول كافة الأراضي الواقعة بين النهرين، وفي المقابل يستلم المسلمون جزية سنة واحدة، إلا أن الإمبراطور هرقل غضب على قائده إيوانيس، ونفاه لإبرامه هذه المعاهدة(41).

والغريب أن هذه الواقعة يذكرها الطبري في أحداث سنة 15هـ/636م أي قبل فتح بيت المقدس، ويذكر أن الروم قتلوا مقتلة عظيمة، ويضيف أن قائد الروم قتل في المعركة؛ فيذكر باسم ميناس، ولايوضح الطبري مقدار الصلح وبنوده، وإنما ذكر أن خالدا حاصرهم فصالحوه على صلح حمص؛ فهذه الوقائع ذكرت في المصادر العربية المتقدمة بإشارات مبهمة أو في روايات مقتضبة غلب عليها العموم، إضافة إلى مشكلة الإطار الزماني، وعليه فالرواية لم ترسم صورة واضحة لهذه الأحداث، وهي مشكلة عامة لم تسلم منها حتى المصادر الإسلامية(42).

ومع حلول سنة 18هـ/639م، ونتيجة لعدم التزام الروم بدفع الجزية المذكورة، إجتازت قوات المسلمين نهر الفرات؛ فاضطر الروم عندها إلى أخذ الأمان لمدينتهم قنسرين، كما انسحبوا من بقية مدنهم باستثناء مدينتي تللا ودارا(43)، اللتين رفضتا الاستسلام؛ فاستولت عليها قوات المسلمين عنوة، وقتلت جميع من فيها، وتم بذلك للمسلمين السيطرة على جميع مدن ما بين النهرين، ثم عاد المسلمون رفقة قائدهم- ابن غانم- إلى سورية، حيث أمر الخليفة عمر بن الخطاب بفرض الجزية على كافة البلدان التي استولت عليها قواتهم(44).

ويبدو هنا نوع من تحامل المؤلف الواضح حول أفعال المسلمين إذ وصفهم بقتل كل من في تلك المدن، وهو أمر خلاف ما عهده العالم عن سياستهم اتجاه غير المحاربين- من نساء وشيوخ وأطفال- فلم ينتهكوا الحرمات وما أفسدوا المزارع(45)، وهو الأمر الذي أثبته بعض المستشرقين ممن لهم باع طويل في هده المسالة(46)، وعليه يبدو أن الكاتب أدرج الاتهامات السابقة بحق المسلمين مدفوعا بتعصبه الديني وحقده على جيوش الفاتحين، أوانه قصد بعبارته السابقة قتل من في تلك المناطق من المحاربين.

مجلة عصور الجديدة- مجلة محكمة صنف ج- المجلد 10 العدد 1- مارس 1441هـ/2020
ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

5. الفتوحات الإسلامية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط:

5 . 1 غزوجزيرة رودس وأسطورة العملاق: تحدث ميخائيل السرياني عن غزو المسلمين لجزيرة رودس على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (23-35هـ/643-655م)، ثم عن تدمير المسلمين لعملاق رودس، وهو تمثال ضخم صنع من المعدن والذهب والفضة، وقد قام المسلمون ببيع معدنه إلى تاجر يهودي من مدينة حمص(47)، وهذا ما لم تذكره المصادر العربية الرائدة، رغم اهتمامها الزائد بذكر تفاصيل هذه الحملات العسكرية وعائدات الغنائم، بل وهذا ما تنكره بعض الدراسات الحديثة التي بينت أن هذه الروايات- أو الأساطير- لا تصمد أمام البحث التاريخي، وذلك لسبب وجيه هو أن التمثال المذكور إنهار قبل الفتح الإسلامي بمئات السنين(48)، كما أن المصادر العربية تذكر أن أول غزوة للجزيرة كانت سنة 52هـ/672م، وأنها فتحت عنوة بقيادة جنادة بن أمية، وأن المسلمين لبثوا بها سبعة سنين، أي حتى وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان وتولي ابنه الخليفة يزيد الذي كتب إلى قائده هناك يأمره بالرجوع بالمسلمين وتهديم الحصن(49).

5. 2 فتح جزيرة قبرص: يذكر ميخائيل السوري أن المسلمين دخلوها عنوة باستعمال أسطول ضخم ضم 1700 سفينة بقيادة معاوية حيث عاثوا فيها فسادا وتخريبا، ثم كان الغزو الثاني لها بقيادة أبي الأعور لمخالفة سكان الجزيرة لشروط العهد الذي أبرموه سابقا، ولم يذكر المؤلف هذه الشروط؛ فقد سمح سكان الجزيرة لأنفسهم بأن يفسحوا المجال لأناس آخرين- ولعلهم من الروم- للاستيطان بها؛ فقام المسلمون بغزو الجزيرة ونهبها حتى طلب سكانها الأمان؛ فتم ذلك على أن يقدموا مبالغ طائلة من الذهب والفضة، ثم انصرف المسلمون بعد أخد هذه المبالغ إلى سورية، كما يذكر المؤلف اجتياز المسلمين نحو مدينة القسطنطينية وقيامهم باحتلالها(50).

هذه الرواية تتوافق إلى حد كبير مع ما أوردته المصادر الإسلامية؛ إذ تؤكد أن غزو الجزيرة كان على مرتين: المرة الأولى في حدود سنة 28 أو29هـ/648 أو 649م، وفيها غنم المسلمون وسبوا، ثم اتفقوا مع أهلها على دفع جزية سنوية مقدارها سبعة ألاف دينار ومئتين، وأن لا يعينوا أحدا على المسلمين، وأن يدفع مثلها للروم، ثم كان الغزو

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

الثاني في حدود سنة 33هـ/653م بعد نقض أهل قبرص لصلحهم مع المسلمين؛ فقاموا ضدهم وفتحوها عنوة، وغنم المسلمون أموالهم، وسبوا نسائهم وذراريهم، ثم أقروهم على صلحهم الأول، وفي هذه المرة عزم المسلمون على الإستقرار النهائي بها، إذ أسكن معاوية- وكان قائدا للحملة حينها- حوالي 12 ألف من جند المسلمين، وبنوا الدور والمساجد بها(51).

5. 3 معركة ذات الصواري: تعتبر هده المعركة من أهم وأشهر المعارك البحرية التي خاضها المسلمون في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وذلك لما خلفته من نتائج خطيرة حول التواجد الإسلامي والبيزنطي على حد سواء.

ففي حين نجد تاريخ الغزوة البحرية يشوبه الاضطراب والتناقض بالنسبة للمصادر الإسلامية(52)، إذ يورد البلاذري المعركة سنة 31هـ/651م، بينما ذكرها خليفة بن خياط باسم الصواري، وجعلها في سنة 34هـ/654م، أما الطبري فرواياته متضاربة ومتناقضة حول المعركة البحرية، حيث جعل في سنة 31هـ/651م في الرواية الأولى، وفي الثانية سنة 34هـ/654م، أما عن قائد المسلمين فلا خلاف بين المصادر العربية من أنه عبد الله بن سعد أبي سرح، وأن قائد البيزنطيين قسطنطين بن هرقل الذي فر مهزوما من أرض المعركة، ويعطي ميخائيل السوري تاريخا ثابتا لها وهو سنة 35هـ/655م، ويروي أن الأسطول البيزنطي الذي ترك أكثر من عشرين ألف قتيل (20000)، وتم تدمير عدد هائل من سفنه، هرب على أثرها الملك قسطس إلى العاصمة- القسطنطينية- وتم عقد صلح مع المسلمين مدته ثلاث سنوات سبقه دفع مقدار هائل من المال، وقد أعقب هذه الهزيمة حدوث اضطراب هائل بالإمبراطورية على مستوى الحكم(53).

كما يذكر المؤرخ السرياني أن بقية الجزر لم تسلم من غارات المسلمين، حيث تمكنوا من فتح جزيرة أرواد بعد أن كانوا قد فشلوا في حصارها الأول، وكان بها أسقف يدعى توما(54).

وبعد خمس سنوات ركب أبو الأعور وجيشه البحر، واستولوا على جزيرة "قو" بخداع أسقفها؛ فسبوا أهلها، ونهبوا الأملاك، وقتلوا السكان وأسروا بعضهم، كما

ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

قاموا بتدمير حصونها، ثم اجتازوا منها إلى جزيرة كريت ونهبوها حسب قول المؤرخ السرياني[55].

خاتمة: تعتبر المصادر السريانية إحدى أهم المصادر التاريخية التي لا يستغنى عنها في البحث التاريخي، وهي على قلتها وندرتها ساهمت ولا شك في إعطاء الباحثين صورة عما يراه الآخر- المنهزم عسكريا- في العرب المسلمين وفتوحهم.

يأتي كتاب ميخائيل السرياني الكبير- الموسوم بـ"التاريخ" على رأس هذه المصادر، كونه جمع فيه خلاصة ما كتبه المؤرخون السريان ممن سبقوه عن الأحداث التي شهدوها أو عاصروها، أو كانوا أقرب زمنيا منها، وبما أن أغلب تلك المصادر تعرضت للضياع أو أصابها التلف فقد كان لميخائيل الفضل الأكبر في جمعها وحفظ رواياتها، وهو ما تضمنه كتابه.

ورغم الخلفيات الدينية والعنصرية لميخائيل السرياني الكبير إلا أنه تمكن من جمع أغلب روايات المسيحيين السريان في كتابه، وأعطى روايات عن فتوحات العرب في سوريا وجزر البحر المتوسط تقترب وتتقاطع إلى حد كبير مع الروايات العربية الإسلامية المبكرة التي تناولت عمليات الفتح الإسلامي للمنطقة، إلا أنها تعبر عن وجهة نظر المسيحيين الأوائل ضد الإسلام؛ فيصف هذا المؤرخ السرياني المسلمين بالنهب والسلب والقتل والإستيلاء على الأراضي، وتدمير المحاصيل وغيرها من مظاهر العنف، وهي وجهة تعبر غالبا عن حقد دفين حملته الشعوب المغلوبة اتجاه الأمة الإسلامية المنتصرة.

وتبقى المصادر السريانية بحاجة إلى كثير من البحث والدراسة، وبخاصة ما تعلق منها بالتاريخ العربي الإسلامي من أجل إعطاء دفع جديد، وآفاق أخرى للبحث التاريخي الجاد.

الهوامش:

(1) بلاد الشام: أطلق الجغرافيون المسلمون اسم الشام على المنطقة الممتدة من بحر الروم –أي المتوسط غربا –والبادية من آيلة إلى نهر الفرات شرقا، ثم من الفرات شرقا إلى حدود بلاد الروم شمالا، أما الحدود الجنوبية فتمتد المنطقة حتى سيناء ومصر، واهم الكور والمدن الموجودة بالشام فلسطين، الأردن، حمص، دمشق، قنسرين. الاصطخري أبوإسحاق إبراهيم بن محمد: المسالك والممالك، تقديم وتعليق حماه الله ولد السالم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014، ص 48.

أما السريانية: فهي لغة سامية مشتقة من اللغة الآرامية، التي نشأت حوالي الالف الاول قبل الميلاد وتطورت عنها، وهي عند بعض أهل الاختصاص لهجة أهل مدينة الرها الارامية، وكان موطنها بلاد مابين النهرين، وسميت بعد ظهور المسيحية بالسريانية

ذلك لان اللغة الارامية مرادفة للوثنية فتجنب مسيحيوالمنطقة هذه التسمية لهذا الاعتبار وأصبحت هذه اللغة بعد ذلك لغة الكنيسة المسيحية الشرقية. مروان كامل وآخرون: تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر, دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، صص20-23.-----(2)william wright: a short history of syraiac literature p 250

(3)محمد مجيد بلال: الإسلام المبكر في التواريخ السريانية- دراسة مقارنة بين تاريخ الطبري وتاريخ ميخائيل الكبير، ط1 – دار الرافدين، بيروت، 2015م، ص115، أما الأرثوذكسية فهي إحدى المذاهب المسيحية التي ظهرت كنتيجة للانشقاقات الكبرى للعقيدة الكنيسية، ويقوم على اعتماد ما قرره مجمع أفسس الأول عام 431م حول طبيعة المسيح، والذي رأى بأن للمسيح طبيعة إلهية ومشيئة واحدة وأقنوم (كيان) واحد، وهو الاقنوم الإلهي الذي اتحد بالطبيعة الإنسانية بلا اختلاط أو امتزاج، وسمي أصحاب هذه العقيدة أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة أو المونوفيزية. يوحنا الاسيوي: تاريخ الكنيسة ترجمة صلاح عبد العزيز محجوب، تقديم محمد خليفة حسن المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000، ص40.---- (4) مروان كامل وآخرون: المرجع السابق، ص 342.---- (5) حسام عيتاني: المرجع السابق ص 202.---- (6)مروان كامل وآخرون . المرجع السابق، ص 342، ص348

(7)محمد مجيد بلال: المرجع السابق، صص119- 127 . أما لاتران: فهي مدينة بروما انعقد بها مجمع سمي باسمها وحظره ميخائيل السرياني سنة 575هـ/1179م ترأسه البابا الكسندر الثالث وحضره حوالي 302 أسقفا لمناقشة انشقاقات البابوية والتباحث في عدة قضايا كنسية أهمها: قواعد الإنضباط الكنسي لاسيما في الرهبانيات , إقرار مرسوم ضد المثلية الجنسية. محمد مجيد بلال، المرجع السابق، ص127-128.---- (8)مروان كامل وآخرون، المرجع السابق، ص342.---- (9)محمد مجيد بلال:المرجع السابق، ص23.

(10)المرجع نفسه، ص23.---- (11)المرجع نفسه، ص 24.---- (12)محمد مجيد بلال: المرجع السابق، ص156، 157

(13)المرجع نفسه، ص195، 160.--- (14)المرجع نفسه، ص148-149/مقدمة كتاب تاريخ الكنيسة ليوحنا الأسيوي، ص24.

(15)يحتوي كل كتاب منها على ستة أجزاء وتناول الكتاب الأول عصر ما قبل فلسطين (306 – 337 م)، وتناول الكتاب الثاني التاريخ الواقع بين مجمع افزوس سنة 431 م ونهاية السنة السادسة لحكم يوستينان الثاني سنة 572 م، أما الكتاب الثالث فيتناول الفترة حتى سنة 585 م، أما عن وضع الكتاب ككل فقد ضاع الكتاب الأول، وبقيت أجزاء من الكتاب الثاني، وهناك بعض النقص في الكتاب الثالث وهذه الأجزاء الباقية محفوظة في المتحف البريطاني في شكل مخطوط، وما ترجم لحد الآن هوالأجزاء الثالث والخامس والسادس من الكتاب. يوحنا الأسيوي: المصدر السابق، ص3-4.---- (16)محمد مجيد بلال: المرجع السابق، ص 152، 154.

(17)ميخائيل السرياني:المصدر السابق، ج2، ص 306/الأزدي محمد بن عبد الله: فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، مؤسسة سجل العرب القاهرة، 1970، ص21، 29، 42/الطبري أبوجعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1961م، مج3 ص387/البلاذري: المصدر السابق، ص201.

(18)المصدر نفسه، ج2، ص 306.---- (19)المصدر نفسه، ج2، ص306.---- (20)عيتاني: الفتوحات العربية في روايات المغلوبين، ط1، دار الساقي، بيروت، 2011م، ص61 .---- (21)ميخائيل السرياني: المصدر السابق، ج2، ص313.---- (22)المصدر نفسه، ج2، ص314

(23)الأزدي:المصدر السابق، 246، 276 وانظر:البلاذري:المصدر السابق، ص 136, 138 والطبري:المصدر السابق، مج3، ص 601

(24)الطبري:المصدر السابق، مج3، ص392، 393

(25)الأزدي:المصدر السابق، ص106، أما خليفة بن خياط (ت240هـ/ 854م فيجعل فتح دمشق سنة 14هـ وأنها قبل معركة اليرموك التي يعطيها تاريخ 15هـ. تاريخ خليفة بن خياط، مراجعة وضبط مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، ص67، ص70.---- (26)ميخائيل السرياني:المصدر السابق، ج2، ص314، 315

(27)الأزدي: المصدر السابق، ص98/البلاذري: المصدر السابق، ص/الطبري: المصدر السابق، ج3، ص610-611/خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص65.---- (28)ميخائيل السرياني: المصدر السابق، ج2، ص316.---- (29)المصدر نفسه:ج2، ص316

(30)المصدر نفسه، ج2، ص319.---- (31)ميخائيل السرياني:المصدر، ج2، ص319.--- (32)المصدر نفسه، ج2، ص319

(33)شمشاط: أهم ثغور منطقة الجزيرة، وتقع هذه المدينة غربي دخلة وشرقي الفرات، وهي غير مدينة سمساط التي تقع بالشام. الإصطخري: المصدر السابق ص61.---- (34)الطبري:المصدر السابق، ج3، ص603.--- (35)الأزدي:المصدر السابق، ج2، ص175

(36)ميخائيل السرياني:المصدر السابق، ج2، ص320.---- (37)المصدر نفسه، ج2، ص320/المنبجي أغابيوس بن قسطنطين: المنتخب من تاريخ المنبجي، تحقيق عمر عبد السلام تذمري، ط1، دار المنصور، طرابلس، 1406هـ/1989م، ص50.

(38)الأزدي:المصدر السابق، ص225/السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد: تاريخ الخلفاء، ضبط وتصحيح محمد خالد العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1432هـ/2010م، صص101-104.---- (39)البلاذري: المصدر السابق , ص 234.---- (40)الطبري: المصدر السابق، ج3 ص609-611/الأزدي: المصدر السابق، ص258/خليف عبود الطائي: المضمون الاقتصادي للمعاهدات في صدر الإسلام، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 1436هـ/2015م، ص270.---- (41)ميخائيل السرياني: المصدر السابق، ج2 ص30.---- (42)الطبري: المصدر السابق، ج3 ص601-602/البلاذري، المصدر السابق، ص136-137.

(43) تللا: هناك مدينتين يحتمل أنهما المذكورتان بهذا النص الأولى تل زاداف وهوموضع قرب الرقة من ارض الجزيرة والثانية تل زبدى: وهي قرية من قرى الجزيرة كذلك. أما دارا فهي مدينة في لحف جبل بين نصيبين وماردين من ارض الجزيرة وهي مدينة ذات بساتين ومياه كان عندها معسكر الملك الفارسي دارا بن قباد ولما قتله الإسكندر المقدوني بهذا الموضع تزوج ابنته وبنا مدينة سماها باسمه دارا". ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، ط1، مطبعة السعادة، القاهرة، 1324هـ-1906م، مج3، 4 ص6.---- (44)ميخائيل السرياني: المصدر السابق، ج2، ص 321.

(45)جميل عبد الله المصري، دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، 1411هـ/ 1991م، ص40.---- (46)مثل: فون كريمر وغوستاف لوبون وفرانز روزينتال، وللتوسع في تحليل هده القضية. جميل عبد الله المصري: المرجع السابق، ص40-41.---- (47)ميخائيل السرياني: المصدر السابق، ج2، ص339.--- (48)حسام عيتاني: المرجع السابق، ص103.

(49)البلاذري: المصدر السابق: ص 237، أما خليفة بن خياط فيجعلها سنة 59 هـ /678 م ويذكر أن قائدان آخران هما: علقمة بن جنادة الحجري وعلقمة بن الأخثم (انظر: تاريخ خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص 140، وانظر الطبري: المصدر السابق، ج4، ص262.---- (50)ميخائيل السرياني: المصدر السابق، ج2 ص339 .

(51)البلاذري: المصدر السابق، ص 158، و انظر خليفة بن خياط: المصدر السابق، ص 92 والطبري: المصدر السابق ج 4 ص 262

(52)البلاذري: المصدر السابق، ص 288، خليفة بن خياط: المصدر السابق ص 98، الطبري ج 4، ص 329، ص 288

(53)ميخائيل السرياني: المصدر السابق، ج 2، ص 342.---- (54)المصدر السابق، ج 2 ، ص 339 .

(55)المصدر نفسه، ص 339 . وقد وصفت جزيرة كريت أوأقريطش على أنها إحدى أهم جزر بحر الروم وأنها اصغر من جزيرة صقلية، ولما فتحت سكنها المسلمون إلى جانب النصارى، وكان المسلمون بها أهل غزووجهاد ضد ممالك النصارى (انظر الإصطخري: المصدر السابق، ص 58)